

## المرأة الجديدة — تمة التقريظ

وأما الفصل الخامس ففي ( التربية والحجاب ) وأهم مسأله ( ١ ) قوله ان الحجاب جعل المرأة في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاة مساوية لكفاة الرجل وان ضرره الاعظم انه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها . و ( ٢ ) انه ينبغي ان تربي كترية الرجل في جسمها وآدابها وعقلها . و ( ٣ ) قوله « متى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكانها العقلية وبلغت الخامسة عشرة من عمرها » ينبغي ان تطلق لها الحرية في مخالطة الرجال « لان قهر الانسان لهواه وجعله تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة . ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينه وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنه بالتواعد الادبية وانما تولد بالتمرض لملاقاة الحوادث والتموود على مغالبتها والتغلب عليها . فزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرجات وامامها تهزم النفوس الضعيفة وتهبط الى اسفل الدرجات » اهـ

و ( ٤ ) ذكر قول معترض حض على النظر الى مدينتنا القديمة التي ذكر من اصولها احتجاب النساء وقال انها نفس الكمال . والرد عليه بوجوب اخذ الابهة لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا وذلك بالالتفات الى المدينية الاسلامية ووزنها بميزان العقل والتدبير

في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها واستخلاص قاعدة من ذلك يمكننا ان نقيم عليه بناء ننتفع به اليوم او في ما يستقبل من الزمان ثم ذكر ظهور الاسلام في جزيرة العرب وفتوحاته واخذ العلوم والصنائع ممن فتح المسلمون بلادهم وما كان من النهضة العلمية وقال بعد ذلك ما نصه : « على هذين الاساسين شيدت المدينة الاسلامية الاساس الديني الذي كونه من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمي الذي ارتقت به عقول الامة الاسلامية وآدابها الى الحد الذي كان في استطاعتها ان تصل اليه في ذلك العهد » . ثم ذكر ان قوة العلم كانت ضعيفة في ذلك العصر واكثر اصوله ظنية وان الفقهاء تغلبوا على رجال العلم ورموهم بالكفر والزندقة حتى نفر الناس من دراسة العلم . قال « ثم علوا في دينهم وشطوا في رأيهم حتى قالوا في العلوم الدينية نفسها انها لا بد ان تقف عند حد لا يجوز لاحد ان يتجاوزه فقررنا ان ما وضعه بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفه وكانهم رأوا من قواعد الدين ان تُسد ابواب فضل الله على اهله اجمعين » ثم عقب هذا بكلمة جليلة ذكر بعدها ما كان من ارتقاء العلم في اوربا وهي : « هذا النزاع الذي قام بين اهل الدين واهل العلم ولا أقول بين الدين والعلم لم يكن خاصاً بالامم الاسلامية بل وقع كذلك عند الامم الاوربية » ثم ذكر بعض الاكتشافات الحديثة في العلم وتعب اهله على رجال الدين واستنتج من ذلك قوله :

« فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما يبناء فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان « نموذج

الكمال البشري « يهمننا ان لا نخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شأنهم ولكن يهمننا مع ذلك ان لا نفش انفسنا بان نتخيل انهم وصلوا الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية . نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جهرنا بها مهما تألم القراء من سماعها . لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول انه يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف على ظواهره وخفاياه لانه يحتوي على كثير من اصول حالتنا الحاضرة ويجب عليه ان يعجب به لانه عمل انتفعت به الانسانية وكنت به ما كان ناقصاً منها في بعض ادوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن ان يدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية » اهـ

وقد بين السبب في عدم هذا الامكان من جهة العلوم الكونية قبله وبين بعد سبب ذلك من جهة المنظمات السياسية وانتقد السلطة المطلقة التي جرى عليها الخلفاء والملوك وما كان فيها من الاستبداد الذي ساعد عليه عدم تحديد الفقهاء للمقويات بل تركوا انواع التعزير مفوضة للحاكم ثم بين انه لم يكن عندهم شيء من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى ان ابن خلدون لم يذكر في كتابه وهو الكتاب الوحيد الذي وضع عند المسلمين في الاصول الاجتماعية كلمة واحدة في ( العائلة ) . ثم بين ان الحالة العائلية كانت خالية من كل نظام . ثم بين ذلك من جهة الآداب فذكر ان المسلمين لم يأتوا للعالم بأصول جديدة فيها واما عملهم بها فذكر ان التاريخ يشهد على ان كل عصر لا يخلو من الطيب والردى وأشار الى اهم ما ينتقد على المسلمين كتمزيق الدولة العربية بالمنازعات الداخلية وكشرب بعض الامراء والمعلماء الخمر جهرآ في مجالس الجوارى والقيان وغير ذلك .

ثم قرر بعد ذلك الرد على من قال ان المدنية الاسلامية كانت « نموذج الكمال البشرى » وان المسلمين كانوا حائزين جميع انواع « الكلمات الاخلاقية الصحيحة » وقرر ان الحجاب اذا كان عادة من عاداتهم التي لم تكن كلها كاملة فلا ينافي ذلك انه لا يليق في عصرنا . ثم قال مانصه بالحرف « وغني عن البيان اننا عند كلامنا على المدنية الاسلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والعادات التي يكون مجموعها الحالة الاجتماعية التي اختصت بها . ذلك لأن عامل الدين لم يكن وحده المؤثر في وجود تلك الحالة الاجتماعية فهو على ما به من قوة السلطان على الاخلاق لم ينتج الاثراً مناسباً لدرجة عقول وآداب الامم التي سبقت » ثم حتم بوجوب بناء مدينتنا على العلوم العصرية التي بنى عليها الاوروبيون مدينتهم

والمسألة (هـ) من مهبات هذا الفصل البحث في زعم الذين يترفون بتقدم الغربيين علينا في الصنائع وانكار تقدمهم في الآداب ولم يبق الاسباب في المسئلة الرابعة مجالاً لتلخيص شئ منها وإنما اطلت في هذه لانها اهم مسائل الكتاب في الحقيقة ولان الناس يلفظون فيها قولاً وكتابة على غير بصيرة بل يكذبون على المؤلف ويهمونه بانه طعن بالدين الاسلامي نفسه وقال انه غير كاف لمدينة المسلمين في هذا العصر ونحو ذلك مما يرمى به من لاقيمة للصدق ولا للدين في نفوسهم . نعم ان كلامه في هذا الموضوع لا يسلم من استدرالك وانتقاد سنينيه في بقية مقالاتنا في (مدنية العرب) . واما خاتمة الكتاب فسنكتب عنها شيئاً في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

رأى الناس في الكتاب ورأينا فيه

قلنا في تقرير كتاب (تحرير المرأة) ما عدنا معناه في تقرير المرأة الجديدة من اننا لم نر في مكتوب العصر شيئاً أثر في مسلمي مصر مثل هذين الكتابين وكنا قد استبشرنا لهذا التأثير لدلالته على ان في الامة ذماء ورمقاً من الحياة يهيج احساسها للنفور من الضار في اعتقادهم وان لم يرتق الى العناية بالنافع في الاخذ به ولكن هذا الاستبشار غير صاف من الكدورة ولا محل هنا لبيان السبب في ذلك اذ لا يفي به الامقالة او مقالات في شعور الامة ووجدانها وتأثيره في اعمالها.

قلنا في الجزء الماضي ان من الناس من قرظ كتاب المرأة الجديدة ومن انتقده ونذكر هنا ان المتقدين هم الاكثرون بحسب ما يظهر لنا من كتابتهم في الجرائد ومحاوراتهم في الأندية والسمار. يقول هؤلاء المتقدون ان هذا الكتاب وسابقة ما اتى الا لاقناع المسلمين بأن يعطوا نساءهم الحرية المطلقة بعبارة من يردن من الرجال وان يكنّ كنساء الافرنج مكشوفات الوجوه والرؤس يختلن الى الملاهي والمراقص ويذهبن في التهلك كل مذهب. هذا ما يلهج به الجماهير يتلقفه بعضهم من بعض واكثرهم لم يقرأ الكتاب. ومنهم من يزيد على ذلك مسألة المدنية الاسلامية والمدنية العربية وقد ذكرنا طعنهم فيها آنفاً

ان كان الكتابان اتاهما الغايتين او اشتملا عليها فنحن وجميع المسلمين بل وجميع العقلاء نقول إنهما باطلان جديران بالقت والرفض لان ذلك يجر الى فتنة في الارض وفساد كبير ويكون به خيار نساءنا في التهلك والتبذل أبعد غوراً من شر نساء الافرنج لان هؤلاء من التربية والعلم الذي لم يصلن

إليه إلا بعد عدة قرون ما ليس لنا شيء منه ونحن لما نبتدء بالتربية ابتداء .  
ولكن هل الكتابان كما يقولون؟ الجواب ما قلناه في تقرّيب كتاب (تحرير  
المرأة) في العام الماضي من أن المؤلف غالى في بيان مضار التشديد والمبالغة  
في الحجاب وبالعكس جداً في جعل نجاح المسلمين متوقفاً على إزالة الحجاب  
المعهود في الأذهان والموجود أثره في الأعيان ... بحيث أن هذه المغالاة  
والمبالغة المصوغه في قالب الأسلوب الكتابي المؤثر تذهب بوجدان القاري  
إلى وجوب تمزيق هذا الحجاب لأنه لم يحجب إلا العلوم والفضائل عن  
نصف الأمة . وقد رأينا من أفاضل المعتدلين في الإنكار على كتاب المرأة  
الجديدة من قال أن هذا هو الضرر الحقيقي من قراءة الكتاب وقال :  
اتى كنت اقرأه فأشعر بوجداني قد تغير واعتقادي بوجود بقاء الحجاب  
قد تزلزل واضطرب فأترك القراءة ليثوب إلى وجداني الأول ويسكن  
اعتقادي فيه ثم أعود إليها . فقلت له ربما تكون هذه المغالاة مقصودة  
للمؤلف لأن الداعي إلى شيء ينبغي له لأجل إرجاع من يدعوهم إلى  
الاعتدال الذي هو الحق أن يقف على الطرف المقابل لما هم فيه فإن كانوا  
في جانب التفرّيط يقف في جانب الإفراط ليتهدى التجاذب بينه وبينهم إلى  
الوسط ولو وقف في الوسط وجذبهم وجذبوه يخرج كل منهما عنه  
أو يبقى في محله ولا فائدة في ذلك ومن هنا يقول الناس لا بد من  
شيء من الباطل لأجل الوصول إلى الحق . وقد قال الإمام الغزالي أن  
وعد القرآن ووعدته مبنية على هذه القاعدة مثل قوله تعالى « يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً »  
إنما يعالج به الذين غلبت عليهم خشية الله والخوف من عذابه وافرطوا

فيها حتى كادوا يقنطون من رحمة تعالى . واما الذين غلب عليهم التهاون وادى بهم الافراط في الرجاء الى التروار وكادوا يأمنون مكر الله وعذابه وتجرؤوا على المعاصي فيجب ان يعالجوا بمثل قوله تعالى « والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » واذا ذكروا تلك الآية ذكروا بمثل قوله تعالى « واني لفتار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وهكذا يجب ان يكون المرشد كالطبيب يعطى كل مريض ما مسَّت اليه حاجته ويناسب حاله . ثم إن من فوائد هذه المبالغة أن أثارت افكار الناس للبحث وكل الباحثين اوجلبهم موافق له على سوء حالة المرأة المصرية او المسلمة ووجوب تربيتها وتعليمها وقد كان المانع الاكبر منهما عند الجماهير هو الحجاب ولكنهم يخالفونه في توقف التربية والتعليم في كمالها على تخفيف الحجاب او منعه فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همه الامة الى تربية وتعليم مع بقاء الحجاب نتقدم الى الامام ويكون الفضل الاكبر في ذلك لقاسم بك يترف له به بعض المنصفين الآن ويحفظه له التاريخ الى آخر الزمان

#### استفتاء البابي في المرأة الجديدة

من اعجب ما احده كتاب ( المرأة الجديدة ) في نفوس الناس ان محمد افندي عبده البابي كتب الى فضيلة مفتي الديار المصرية كتاباً مفتوحاً وزعه على الناس ونشره في الجرائد يسأل فيه : « هل رفع الحجاب عن المرأة واطلاقها في سبيل حريتها بالطريقة التي يريد صاحب كتاب ( المرأة الجديدة ) يسمح به الشرع الشريف ام لا » ثم طبع استفتاءنا الى هذا الكتاب المفتوح ووزعه في الازقة والشوارع وارسله الى الجرائد قبل ان يرسله الى

فضيلة المفتى المخاطب به حتى ان الاستاذ المفتى لم يعلم به الا بعد ان اطلعته انا عليه ونحن نجيب هذا السائل المستفت فنقول :

(١) ان الاستفتاء جاء على خلاف المعهود في مثله ولم يفهم احد من العقلاء معنى توزيع السؤال مطبوعاً على الناس لاسيما قبل ايصاله الى المسؤل بل انا في شك من ارساله اليه قياساً على الاستفتاءات الذي رآه عندي لأول مرة . ولا يقال ان الغرض الفائدة لان الفائدة انما تكون في الجواب وربما كان اكثر الذين وزع عليهم الكتاب المفتوح والاستفتاءات من خالي الذهن عن كتاب المرأة الجديدة . فيظهر ان للسائل غرضاً غير الافادة

(٢) لا يخفى على السائل وغيره ان الاستفتاء عن كتاب يستلزم ان يقرأ المفتى ذلك الكتاب كله وذلك تكليف الشطط لان اصحاب الاعمال الكثيرة كمفتى القطر المصرى يجب ان يختصر في الاسئلة التي تلقى اليهم لان كثرة اعمالهم لا تسمح لهم بقراءة الاسئلة المطولة والجواب عنها الذي يستدعى التفصيل والتطويل غالباً وانما نعلم ان الاسئلة التي ترفع الى شيخ الاسلام في دار الخلافة لا يكتبون فيها بالاختصار حتى يذكرون الجواب ويسألون عنه فيكتب شيخ الاسلام كلمة ( اولور ) اذا كان الجواب بالايجاب وكلمة ( اولماز ) اذا كان سلباً . والسائل يعلم ان مفتي الديار المصرية هو رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي هي اعظم جمعية للمسلمين في البلاد العربية كلها وهو ايضاً عضو عامل في مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى وله اعمال اخرى في نظارة الحفانية وهو شيخ رواق الحنفية الذي هو اعظم رواق في الازهر وناظر على اوقاف كبيرة وعضو في مجلس ادارة الازهر ويؤلف ويقرأ في الازهر درساً في علم البلاغة ودرساً في تفسير

القرآن الشريف ولا يخفى ما يستلزمه هذا الدرس من المطالعة والمراجعة .  
ويعلم انه من الدقة في أعماله بحيث اذا رفع اليه استفتاء من المحاكم عن قتل  
جان يقرأ جميع اوراق القضية وان كانت تمتد بالثبات . ويعلم ايضاً انه مقصود  
من الناس بقضاء المصالح فلا يخلو يوم من عدة اشخاص يطلبون منه قضاء  
مصالحهم . فهل مثل هذا يستفتى عن كتاب . ويكلف بقراءته ليعين رأيه فيه .  
كلا انه يجب على شيخ الجامع الازهر ان يؤلف بمعرفة المفتي ومساعدته  
لجنة من العلماء لانتقاد الكتب التي تنشر بين المسلمين يكون افرادها من  
البارعين في جميع الفنون بحيث ينتقد كل صنف ما هو عالم به ثم ينشر ذلك  
في الجرائد فان في الكتب المنسوبة للمتقدمين ما ينشر وفيه من الافساد  
في الدين والدنيا فوق ما يتصوره كل متتقد على كتاب ( المرأة الجديدة )  
( ٣ ) ان الفتوى في الكتاب لا يمكن ان يفهما احد الا اذا اطلع على  
السؤال والسؤال يدخل فيه الكتاب كله فيحتاج كل من اطلع على الفتوى  
ان يقرأ الكتاب اولاً فاذا كان ضاراً تكون الفتوى سبباً في اذاعة الضرر  
( ٤ ) اذا أفتى مفتي الديار المصرية في الكتاب فلا شك ان فتواه  
تكون بمقتضى مذهب الحنفية الذي عينته الحكومة ليفتى به فاذا لم توافق  
فتواه غرض صاحب الكتاب يمكنه ان يقول كما قال في كتابه ان اصلاح  
شؤون المسلمين يتوقف على عدم التقييد بقول امام واحد بل يجب أن ينظر  
في المصلحة وتطبق على قول أي امام ولا يخفى انه نقل عن بعض الائمة في  
تحرير المرأة جواز كشف الوجه والكفين وجواز معاملة الرجال في غير  
خلوة وهذا كل ما يطلبه من ابطال الحجاب  
كل هذا يدلنا على ان السائل اخطأ في السؤال وانه لا يليق جواباً